# المحاضرة الأولى: مفاهيم أساسية حول القراءة:

**الأستاذة :صارة مزياني**

**الجمهور المستهدف: طلبة السنة الثالثة ليسانس تخصص نقد ومناهج**

**أهداف الدرس: تهدف هذه المحاضرة إلى تمكين الطلبة من التعرف على مفهوم القراءة وكذلك معرفة القواعد الأساسية في قراءة النصوص**

## تمهيد :

لقد اهتمت المناهج النقدية السياقية بالمؤلف ، واهتمت المناهج النسقية بالنص، وأهمل القارئ فكانت نظريات القراءة ردا على هذه المناهج بحيث ركزت على القارئ باعتباره أهم عامل في تفسير النصوص وتأويلها، فالنص لا يكون ذا معنى إلا حين يقرأ، والواضح أن القراءة هي الشرط الأساسي لكل عمليات التأويل الأدبي، ومن أهم النقاط في قراءة كل عمل أدبي التفاعل بينه وبين متلقيه.

ومن المعروف أن القارئ، الذي يعد واحدًا من أهم المعطيات التي تقوم عليها نظرية الأدب، قد أخذ مكانته التامة والكاملة في اتجاهات ما بعد البنيوية، ولكن ذلك لا يعني- بأي حال- أنه قد كان غائبًا عن التصورات النقدية السابقة على ذلك، فكل اتجاه في نظرية الأدب لا بد أن يصوغ تصوره للركائز الأساسية التي يتعامل معها؛ والقارئ إحداها، بيد أن ما هو مختلف هو الدور الذي يعطى للقارئ، من حيث مقداره وقيمته وطبيعته وعلاقاته مع بقية الركائز الأخرى، وهذا ما يوضح مفهوم القراءة في هذه الاتجاهات.

## تعريف القراءة:

تجدر الإشارة إلى أن هناك عدة تعاريف لمفهوم القراءة، فهي في رأ ي التقليدين من النقاد استهلاك للنص، وفي تمثل الحداثيين إنتاج النص، وتناص، ومن الرأيين معا يظهر أن القراءة إفادة وتثاقف، وجمال، غير أن ليس كل قارئ قادرا على أن ينتج قراءة، وإنما القراءة المثمرة والمنتجة تكون خالصة للكتاب والمتخصصين في النقد، ثم لا يتحدد مفهوم القراءة ولا وظيفتها إلا من خلال تحديد هويات القراء، بمعنى أن مفهوم القراءة يتحدد تبعا لثقافة القراء وأذواقهم، ومواصفاتهم، وإديولوجياتهم، وتوجهاتهم وفلسفتهم في الحياة، إن القراءة" إنطاق الذات بما هو مغيب في مجاهلها وأوزامها، ولعل قراءة الذات واستخرا ج ما في باطنها، وتسطيرها للناس: أن يكونا، ملم بحقيقة هذا المفهوم في صدقه وعمقه...ثم إن القراءة، من بعد ذلك، أو قبل ذلك، أو أثناء ذلك: تناص يقع مع نص آخر كان أصلا، قراءة لخاطر، وترجمانا لقريحة....فليست القراءة، من هذا الموقف الذي نقفه إلا كتابة تترجم ما في الخاطر الجياش، وتكشف عما في الضمير من العواطف الطافحة، ثم هي من بعد ذلك كتابة تنسج من حول كتابة أخرى غائبة، وإن كانت بالقوة حاضرة".

وبالعودة إلى التراث نجد أن قراءة العرب للنصوص الشعرية، كانت تنحصر في ثلاث مستويات: المستوى اللغوي، والمستوى النحوي، والمستوى الأسلوبي، بحيث كان الشارح يبدأ بشرح الألفاظ العربية الغامضة، وفك المعاني المستغلق، ثم بعد ذلك يعمد إلى التخير النحوي، مقدرا ومعربا، قاصدا من وراء ذلك الكشف عن بنية اللغة للنص المطروح للشرح والتحليل، وينصرف بعد هذا كله إلى نثر البيت وتلخيصه تلخيصا بديعا يتقارب مع مستوى نسج الأسلوب للنص المقروء، إلا أن هذه القراءة المبكرة في التراث العربي، لم تتناول النصوص المحللة تناولا شموليا بالقراءة و التحليل، وإنما كانت تعرض لظواهر معينة.

أما القراءة في مفهومها الحداثي فهي" سلوك حضاري، فكري، ذهني، روحي، جمالي، ثقافي، هي عادة متحضرة، هي أدب متأصل، هي مثاقفة واعية، هي ما يمكن أن نطلق عليه نحن لغتنا الخاصة" مقارءة" أو هي كما يعبر بعض الغربيين تناص"

يرى "عبد المالك مرتاض أن القراءة " قديمة في التعامل الأدبي لدى العرب إذ مورست تحت أشكال مختلفة، وعلى أكثر من نص أدبي، ولكن دون تداول هذا المصطلح الذي نفخه الحداثيون، على عهدنا هذا، في مفهوم القراءة: تداولا صراحا، وهو المفهوم الذي حاول أن يلغي مصطلح النقد بإزاحته من على عرشه الكبير يتبوأ هو مكانة، فكما أن مفهوم الكتابة، على بعض عهدنا هذا، يجتهد في أن يلغي مفهومي الشعر والنثر ليجعلهما معا تحت قبضته، منضويين تحت إسمه، فإن القراءة، هي أيضا تتطلع إلى تزاحم النقد وربما إلى الإطاحة به، مثله مثل الشرح، بل مثله مثل التحليل أيضا، فتحتوي كل هذه المفاهيم جملة واحدة في نفسها، فكأن القراءة في النقد الأدبي المعاصر مفهوم لكل الأنشطة الإبداعية والفكرية التي تثمرها النصوص الأدبية التي نمارس عليها القراءة، لكن يجب أن نحتاط ونحن نقرر أمرنا حول هذا المفهوم اللزج والمريج، فكما أن الكتابة إنما تنصرف إلى الكتابة الإبداعبة التي يثمرها الخيال، وتفرزها القريحة السخية النقية، فإن القراءة أيضا، وهي النشاط الذي يضطرب حولها إنما تمارس على كل ما هو إبداع وتتمخض لكل ما هو فن جميل، فذلك هو المعنى الأول لهذا المفهوم"

ثم يتوسع عبد المالك مرتاض في مفهوم القراءة، فيرى أن هذا المفهوم يشمل " كل قراءة من حول كل ما تنتجه القرائح، وخصوصا ما له صلة بالإبداع المصنف في الدرجة الثانية مثل القراءة التي يقرؤها إعلامي ما، تعليقا على خطاب رجل سياسة، ولا سيما إذا كان من الخطباء البلغاء الفصحاء، وذلك نادرا جدا في أمثال أولئك الرجال الأعييياء...ولكننا نلاحظ هنا أن مفهوم القراءة كأنه يتنزل من أعلى إلى أسفل، أي من مستوى الخيال الخلاق، والإبداع المعطاء، إلى مستوى كلام كثيرا ما يتدنى إلى السوقية والابتذال، وإذن فهلا تكون القراءة في هذا المستوى بالذات، لا تجاوز درجة التعليق؟ وقد يكون الحق هو ذلك"

فالقراءة من هذا التصور ، تكاد تضارع الشرح أو التحليل، أو التفسير ، أو التأويل أو التعليق في مفهوم القراءة في الأدب العربي القديم" وأيا ما يكن الشأن، فإن تحليل النص الأدبي كأنه يحيل، بالضرورة على مفهوم القراءة والقراءة تحيل على وجه التأويل، والتأويل يحيل، ربما على وجه من التعليق، والتعليق يحيل ربما على وجه من النقد والنقد يحيل

ربما على التلطيف في إصدار حكم ما على عمل ما، وإصدار الحكم لا مناص له من أن يحيل على قيمة معرفية أو إديولوجية أو جمالية" **عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003،**

كما عرفها "آيزر" بأنها محصلة تفاعل تلميحات النص وفهم القارئ لها، كما أن القارئ لا يستطيع أن ينتزع نفسه من تفاعل كهذا، بل إن النشاط الذي يثيره في نفسه يربطه بالنص ويدفعه لإيجاد الظروف اللازمة لتفعيل النص، وحن يندمج النص والقارئ بهذه الطريق في موقف واحد فإن الفصل بين الذات والموضوع يصبح غير ذا صلة، وبالتالي فإن المعنى لا يصبح موضوعا يتم تعريفه بل تأثير يتم الخضوع له" قد بنى هذا التعريف على الوضع الجديد الذي خلق الفن في العصر الحديث، فبدلا من التوافق الأفلاطوني بين الفكرة والمظهر أصبحت النقطة المحورية اليوم هي التفاعل بين النص والمعايير الاجتماعية والتاريخية لبيئته من ناحية والحالة المزاجية المحتملة للقارئ من ناحية أخرى.

ويعد رولان بارت من أبرز النقاد الذين عالجوا مسألة القراءة والقارئ، حيث يرى أنها هي وحدها تعشق الأثر الأدبي يقول " بيد أن قراءة الناقد، أو الانتقال من القراءة إلى النقد، فمعناه تغيير الشهوة، بحيث لا نعود نشتهي الأثر الأدبي وإنما لغتنا الخاصة، لكن من هناك أيضا، نعيد الأثر إلى شهوة الكتابة التي صدر عنها"، وقد فرق بارت بين نص الكتابة ونص القراءة، فالنص الكتابي جعل للقارئ دورا، فلم يعد مستهلكا بل منتجا يتمتع بلذة القراءة على عكس قارئ نص القراءة"

ويتحدث بارت عن مفهومه للقراءة بقوله" وحينئذ يتكون فضاء للذة، وليس لشخص الآخر المبحوث عنه في الشارع هو الذي أحتاج إليه، وإنما أحتاج إلى الفضاء: إلى احتمالية جدلية الرغبة، إلى ارتجالية اللذة. فلينعدم اللعب بل فليكن اللعب" وبعلق أحد الدارسين المعاصرين على هذا القول بم نصه: وتؤدي القراءة خالصة وجه القراءة، لدى بارت لا فائدة تنتظر منها غير اللذة بكل ما يحمل اللفظ من معاني الالتذاذ، أن نحكم على نص من خلال قراءته فلا نحكم له بالتويه والمديح، فليس من حق القارئ أن يقول، ما تعود قوله حين يقرأ نصا، أو كتابا: هذا جيد وهذا رديء، فإنما تلك سيرة التقليديين من الباحثين و المتلقين جميعا، سيرة من يتعلقون بما ورث من الماضي، وبما بلي من الفائت الغابر لا ينبغي للقراءة أن تكون إلا لما كانت له في أصل الغاية الأدبية: تنشيء في النص شيئا من اللذة، وفي القلب شيئا من المتعة، فكأن القراءة لذة لا فائدة، وكأنها جمال لا منفعة. أن نقرأ فإنما نقرأ من أجل القراءة: لنفسها لذاتها للذة فيها".

## القواعد الأساسية في قراءة النصوص:

هنا ثلاث قواعد تتحكم في القراءة المشروعة للنصوص الأدبية التي من شأنها أن تبتعد عن القراءة التي تتميز بإرخاء العنان للتأويل غير المنسجم، فالقاعدة الأولى ينبغي أن تكون شبكة التأويل قابلة للتعميم على مجموع العمل، ومحترمة للمنطق الرمزي، وتسير دوما في الاتجاه نفسه، ومن ثمة فالإحكام هو مقياس القراءة ، وتمثل القاعدة الثانية الإنسجام الداخلي للقراءة بحيث يكون تأويل عناصر النص

منسجما مع الدلالة الكلية للنص، وأضاف "بول ريكور" لمبدأ الإنسجام الداخلي، مبدأ الانسجام الخارجي، فلا ينبغي للقراء أن تسير ضد بعض المعطيات الموضوعية الموجودة في النص، و عليه فالتلقي في جزء كبير منه، مبرمج من قبل النص، ما يجعل القارئ لا يستطيع أن يفعل أي شيئ يريد، وعلى حد تعبير "أمبيرتوا إيكو" تجب على القارئ التزامات فيلولوجية إزاء النص، عليه أن يكتشف ما أودعه المؤلف في النص، وإلا سيجازف بتشفيرات زائغة.